لمحات من أيام عمر

الحق الالهى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ..

كتب عمر بن عبدالعزيز حين ولى الخلافة الى يزيد بن المهلب. أما بعد فان سليمان كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفنى ويزيد بن عبد الملك من بعدى ان كان ، وان الذى ولانى الله من ذلك وقدر لى ليس على بهين ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج واعتقاد أموال كان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسألة غليظة الا ما عافى الله ورحم وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك (١)

تحرى الصدق قولا وعملا ..

كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الرحمن بن نعيم وكان واليه على خراسان حتى مات عمر .. قال له : أما بعد فكن عبدا ناصحا لله فى عباده ولا يأخذك فى الله لومة لائم فان الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، فلا تولين شيئا من أمر المسلمين الا المعروف بالنصيحة لهم ، والتوفير عليهم ، وأداء الأمانة فيما استرعى ، واياك أن يكون ميلك ميلا الى غير الحق

---

(١) الطبرى

obeikandi.com

فان الله لا يخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهبا فانه لا ملجأ من الله الا اليه .. وقال له : ان العمل والعلم قريبان ، فكن عالما بالله عاملا له ، فان أقـــواما علموا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالا . فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين . وقال له : لا تهدموا كنيسة ولا بيعـــة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تحدثن كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجروا الشاة الى مذبحها ولا تحدوا الشفرة على رأس الذبيحة ولا تجمعوا بين الصلاتين الا من عذر (١)

الحق أحق أن يتبع ..

كتب عمر الى الجراح وقت أن كان واليه على خراسان قال : يا ابن أم الجراح .. أنت أحرص على الفتنة ممن ذكرت لى أنهم قد ابطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزوا .. حتى أنك كرهت الاقدام على ضربهم بالسيف والسوط الا باذن منى .. فأقول لك : لا تضربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا فى حق ، واحذر القصاص فانك صائر الى من يعلم خائنـــة الاعين وما تخفى الصدور وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (٢)

اركان السلطان ..

كتب عمر الى عقبة بن زرعة الطائى وكان قد ولاد الخراج فقال له : ان للسلطان أركانا لا يثبت الا بها .. قالوا لى ركن .

---

(١) المسعودى

(٢) ابن الاثير

والقاضى ركن ، وصاحب بيت المال ركن ، والركن الرابع انا .. وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الى ولا أعظم عندى من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه فى غير ظلم .. فان يك كفافا لاعطياتهم فسبيل ذلك .. وألا فاكتب الى حتى أحمل اليك الاموال فتوفر لهم اعطياتهم ، فلما وجد عقبة خراج خراسان يفضل أعطيات أهلها كتب الى عمر بن عبد العزيز يخبره بذلك .. فرد عليه عمر طالبا منه أن يقسم الفضل فى أهل الحاجة (١) .

دستور عمر ..

كتب عمر بن عبد العزيز الى واليه على الكوفة وكان يدعى عبد الحميد قال : من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الحميد .. سلام عليك ، أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور فى أحكام الله وسنة خبيثة استنها عليهم عمال السوء وان قوام الدين العدل والاحسان فلا يكونن شىء أهم اليك من نفسك ، فانه لا قليل من الاثم . ولا تحمل خرابا على عامر ، ولا عامرا على خراب .. انظر الخراب فخذ منه ما أطاق وأصلحه فى الخراج الا وزن سبعة ليس لها آيين ، ولا أجور القرابين ولا هدية النيروز والمهرجان ، ولا ثمن الصحف ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من دونى بقطع ولا صلب حتى تراجعنى فيه ، وانظر من أراد من الذرية أن يحج فعجل له مائة يحج بها والسلام . (٢)

---

(١) الطبرى

(٢) المصدر نفسه

ما يجب وما لا يجب

حدث ابن عبد العزيز أهل خناصرة فقال : أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ، ولن تتركوا سدى ، وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ٠ وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شيء ، وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ٠ الا وأعلموا انما الأمان غدا لمن حذر الله وخافه وباع نافدا بباق وقليلا بكثير ، وخوفا بأمان ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد الى خير الوارثين وفى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله فتغيبونه فى صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد فارق الأحبة وخلع الأسباب فسكن التراب وواجه الحساب فهو مرتهن بعمله ، فقير الى ما قدم ، غنى عما ترك ٠٠ فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه ، وأيم الله انى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى فأستغفر الله وأتوب اليه ، وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة الا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه وما منكم من أحد يسعه ما عندنا الا وددت أنه ساواني ولحمتى حتى يكون عيشنا وعيشه سواء ٠٠ وأيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش لكان اللسان منى به ذلولا عالما بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة يدل فيها على طاعته وينهى عن معصيته ٠٠ ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شهق

وأبكى الناس حوله .. ثم نزل فكانت اياها .. لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله . (١)

* * *

حق مفترض به !

ومات لعمر ولد فكتب له عامل من عماله يعزيه فقال عمر لكاتبه : أجبه عني وأوجز للحروف واكتب بسم الله الرحمن الرحيم .. أما بعد فان هذا الأمر أمر قد كنا وطنا أنفسنا عليه فلما نزل لم نذكره والسلام . (٢)

أبو حفص يقول :

من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته ، وأدى واجب حقه ، فاتقوا الله فانها نصيحة لكم في دينكم فاقبلوها ، وموعظة منجية في العواقب فالزموها .. الرزق مقسوم فلن يقدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا في الطلب فان في القنوع سعة وبلغة وكفافا .. أن أجل الدنيا في أعناقكم وجهنم أمامكم .. وما ترون ذاهب وما مضى فكأن لم يكن .. وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق وبعد فراغه وقد ذاق الموت والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله وعاينتم تعجيل اخراجه وقسمة تراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسي وبابه مهجور كأن لم

---

(١) الطبري

(٢) ابن الاثير

يخالط اخوان الحفائظ ، ولم يعمر الديار ، فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة فى الموازين ٠

* * *

وقال ايضا رحمه الله

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومعول المؤمن الصبر وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر الا كان ما أعاضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية : (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) ٠ (١)

كفى بها موعظة ٠٠!

كتب ناصح الى عمر بن عبد العزيز فقال له : ان أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير ٠٠ فقال عمر : كفى بها موعظة ٠٠ ولما أفضى اليه الأمر خطب الناس فقال : أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فروعها ٠٠ فما بقاء فرع بعد أصله ٠٠ وانما الناس فى هذه الدنيا أغراض تتنضل فيهم المنايا وهم فيها نصب المصائب مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص ، لا ينالون نعمة الا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله ٠٠

---

(١) الطبرى

أيها الناس : انه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا وانى لست بقاض ولكنى منفذ .. ألا وانى لست بمبتدع ولكنى متبع .. ان الرجل الهارب من الامام الظالم هو العاص - ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . (١)

لكل حقوق لا يتعداها ..

كتب عمر الى ولاته جميعا نسخة واحدة يقول فيها اليهم : أما بعد فان الله عز وجل أكرم بالاسلام أهله وشرفهم وأعزهم، وضرب الذلة والصغار على من خالفهم . وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .. فلا تولون أمور المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم ، فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فنذلهم بعد أن أعزهم الله ، ونهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى ، ونعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم .. ومع هذا فلا يؤمن غشهم اياهم فان الله عز وجل يقول : لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم ، ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض والسلام . (٢)

يا حليما لا يعجل على من عصاه ..

جنى عبد أسود على عمر بن عبد العزيز - وكان فى عنفوان شبابه - جناية فلطمه وهم ليضربه فقال له العبد : يا مولاى

---

(١) المسعودى

(٢) ابن الاثير

لم تضربنى ؟ قال له : لا نك جنيت كذا وكذا ٠٠ فقال العبد : فهل لا جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك ٠٠ قال عمر : نعم ٠٠ قا ل العبد : فهل عجل عليك العقـــوبة ؟ قال عمر : اللهم لا ٠ قال العبد : فلم تعجـــل على ولم يعجـــل عليك ٠٠ !! ٠٠ فقال له عمر : قم فأنت حر لوجه الله ! وكان ذلك سبب توبته ٠ وكان عمر يكثر هذا الكـــلام فى دعائه فيقول : يا حليما لا يعجل على من عصاه ٠ (١)

عمر وغلام ٠٠

لما ولى عمر الخلافة وفدت عليه وفود العـــرب ومنهم وفد الحجاز فاختار الوفد غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام ٠ فلما ابتدأ بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر : مهـــلا يا غلام ليتكلم من هو أشد منك ٠٠ فقال الغلام : مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبـد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استجاد له الحلية ٠٠ يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان فى هذه الأمة من هو أسن منك

قال عمر : تكلم يا غلام قال : نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذى من بك علينا ٠٠ فلم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبـــة ٠٠ أما الرغبة فقد أتانا منك الى بلدنا ، وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك

---

(١) المسعودى

فقال عمر : عظنا يا غلام وأوجز . قال الغلام : نعم يا أمير المؤمنين ان أناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وحسن ثناء الناس عليهم ، فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك .. فنظر عمر في سن الغلام فاذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه الله . يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالما .. وليس أخو علم كمن هو جاهل

وان كبير القوم لا علم عنده .. صغير اذا التفت عليه المحافل(١)

حفيد يحمل اسم الجد وفعله !

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أخذ من أهله ما بأيديهم وسمي ذلك مظالم !! ففزع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأتته فقالت له : تكلم أنت يا أمير المؤمنين .. فقال : ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة - ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم سواء .. ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله ثم ولي عمر فعمل بعملهما ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى أفضى الأمر الى وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت له عمته : حسبك قد أردت كلامك فأما اذا كانت مقاليد هذه فلا أذكر شيئا أبدا فرجعت اليهم فأخبرتهم

---

(١) المسعودي

كلامه .. وقيل انها قالت لعمر : ان بنى أمية يحذرونك يوما من أيامهم فغضب وقال : كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره !! .. فرجعته عمته الى بنى أمية وقالت لهم : أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده فسكتوا .. ! (١)

نعم الراعى عمر ..

تذكر فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه مرة وهو فى مصلاه ودموعه تجرى على لحيته فقالت له : أحدث شيء ؟ قال لها : انى تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والغازى والمظلوم المقهور ،والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذى العيال ، والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الارض فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم الى الله فخشيت أن لا تثبت حجتى عند الخصومة فرحمت نفسى فبكيت (٢)

عمر فى زيارة للموتى ..

مر عمر بن عبد العزيز مع أصحاب له على القبور فقال لهم قفوا حتى آتى قبور الأحبة فأسلم عليهم .. فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال لهم : ألا تسألونى

---

(١) ابن الاثير .

(٢) المصدر نفسه

ماذا قلت لهم وما قيل لى ٠٠ فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل لك ؟ قال : مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ، ودعوت فلم يجيبوا فبينا أنا كذلك اذ نوديت ياعمر : أتعرفنى أنا الذى غيرت محاسن وجوههم ، ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم ٠٠ ٠٠ ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفا فوالله ما مضى بعد ذلك الا أيام حتى لحق بهم ٠ (١)

عمر بن عبد العزيز فى موته ٠٠

قالت فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز ٠٠ اشتد المرض على زوجى ليلة ٠٠ فسهر وسهرنا معه ٠٠ فلما أصبحنا أمرت له وصيفا يقال له مرثد فقلت له يا مرثد : كن عند أمير المؤمنين فان كانت له حاجة كنت قريبا منه ٠٠ ثم انطلقنا فضربنا برؤسنا لطول سهرنا ، فلما انتفخ النهار استيقظت فتوجهت اليه فوجدت مرثدا خارجا من البيت قد غط فى نومه فأيقظته فقلت : يا مرثد ما أخرجك ٠٠ ؟ قال : هو أخرجنى وقال لى : اخرج عنى فوالله انى لأرى شيئا ما هو بالانس ولا بالجن فخرجت فسمعته يتلو هذه الآية (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) ٠٠ قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه وأغمض عينيه وانه لميت رحمه الله ٠ (٢)

---

(١) ابن الأثير ٠

(٢) المسعودى